وهو وان تكرر بعضه مع ما قدمته فلا يخلو من فائدة زائدة والله الموفق وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ويمكن الجواب بان هذا الذراع اكبر من ذلك كما اشار اليه هو في امر الصومعة وكذا ما ذكره في عدد السواري الا ان يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره هنا انما هو للكبار فقط كما صرح به والله اعلم واما الثريات فقد خالف في عددها ما تقدم مع ان المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت طرقه ومضموناته وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه اعتمدت فيما انقله في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشان اتم اعتناء واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره عن الرازي انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن راي عمر رضي الله عنه بالشام من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما اخذوه صلحا فشاطر المسلمون اعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها شنت بجنت وابتنوا في ذلك الشطر مسجدا جامعا وبقي الشطر الثاني بايدي النصارى وهدمت عليهم ساير الكنائس بحضرة قرطبة واقنع المسلمون بما في ايديهم الى ان كثروا وتزيدت عمارة قرطبة ونزلها امراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس ينالون في الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر ابوابها وتطامن سقفها حتى ما يمكن اكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض ولم يزل المسجد على هذه الصفة الى ان دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المرواني الى الاندلس واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وتمدنت به فنظر في امر الجامع وذهب الى توسعته واتقان بنيانه فاحضر اعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقي بايديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه واوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه فابوا من بيع ما بايديهم وسالوا بعد الجهد ان يباح لهم ابتناء كنائسهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على ان يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طولبوا به فتم الامر على ذلك وكان ذلك سنة ثمانية وستين والف ثم ابتنى عبد الرحمن مدة ذلك المسجد الجامع على صفة ذكرها لا حاجة في تغيير الزيادات فيه وانما الحاجة وصفه بكماله وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي في قصيدة • وانفق في دين الاله ووجهه • ثمانين الفا من لجين وعسجد • توزعها في مسجد اسسه التقى • ومنهجه دين النبي محمد • ترى الذهب الناري فوق سموكه • يلوح كبرق العارض المتوقد • قال وكمل سنة سبعين والف ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضي وما جدده فيه اذ بناه من خمس تهي ادي ونته ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم رم المنذر بن محمد ما وهي منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر ونقضه للصومعة الاولى وبنيانه للصومعة العظمى قال ولما ولي الحكم المستنصر بالله وقد اتسع نطاق قرطبة وكثر اهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيئا على النظر في الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار في حد يحار الوصف عنه وذكر حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر في قبلة جامع الزهراء لان اهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو المغرب فقال له الفقيه ابو ابراهيم يا امير المؤمنين انه قد صلى الى هذه القبلة خيار هذه الامة من اجدادك الائمة وصلحائهم وعلمائهم منذ افتتحت الاندلس الى هذا الوقت متاسين باول من نصبها من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعاني وامثالهم رحمهم الله تعالى وانما الفضل في الاتباع وهلك من هلك بالابتداع فاخذ الخليفة برايه وقال نعم ما قلت قلت وانما مذهبه الاتباع قال ابن بشكوال ونقلت من خط امير المؤمنين المستنصر ان النفقة في هذه الزيادة وما اتصل بها انتهت الى مائتي الف دينار وستين الف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين دينارا ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة نقلا عن ابن بشكوال فقال امر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة سنة ٣٣٣ واقام هذه البديعة فحفر في اساسها حتى بلغ الماء مدة من ثلاثة واربعين يوما ولما كملت ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد درجيها ونزل من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين فصل بينهما البناء فلا يلتقي الراقون فيها الا باعلاها وتربد مراقي كل مطلع منها على مائة وسبع قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الاندلس وليس في مساجد المسلمين صومعة تعدلها قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم ير صومعة مراكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فانهما اعظم واطول لانه ذكر ان طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن اربعة وخمسون ذراعا والى اعلا الرمانة الاخيرة باعلى الزج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل تربيع منها ثمانية عشر ذراعا وذلك اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشر اذرع وذكر ان صومعة قرطبة بفخام الحجارة القطعية محكمة غاية التجويد وفي اعلاها ثلاث تفاحات يسمونها رمانات ملصقة في السفود البارز في اعلاها من النحاس اثنتان منها ذهب ابريز والثالثة وسطى بينهما من فضة اكسير وتحتها سوسنة من ذهب مسدسة فوقها رمانة ذهب صغيرة في طرف الزج البارز باعلى الجو وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا وذكر ابن بشكوال في رواية ان موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها اهل قرطبة قماماتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ودخل قرطبة قال للجن اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما امرهم به وبني فيه بعد ذلك الجامع المذكور انتهى قال ومن فضايله ان الدلالات المائلة في تراويق سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعا الى غيره باحكم صنعة انتهى وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن فقالوا هو مصحف امير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه مما خطه بيمينه وله عند اهل الاندلس شان عظيم انتهى

وسنذكر

وسنذكر فيه زيادة على هذا واما الزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها امير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكرها وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم الف نسمة منها ثلثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وساير الصناع فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية واربعين يوما وجاء في غاية الاتقان من خمسة ابهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشرة ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثني عشر ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث واربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء فطول هذا المسجد اجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من المشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وطول صومعته في الهواء اربعون ذراعا وعرضها عشر اذرع في مثلها وامر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع في نهاية من الحسن ووضع في مكانه منه وحظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التي جرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها اسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد ابهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجه في تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منها فكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذي يصب فيها من اعظم اثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو ابراجها التي يترقى الماء منها ويتصوب من اعاليها وكان مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى ان وصلت اعني القناة الى هذه البركة اربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة انفضل فيها على عامة اهل مملكته ووصل المهندسين والقوام بالعمل بصلات حسنة جزيلة واما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى اخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من اربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت اول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضي ابا عبد الله محمد بن ابي عبد الله بن ابي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة واول خطيب به القاضي المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة اطبق الناس على انه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل اليه قط احد من ساير البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد ورسول وافد وتاجر جهبذ وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة الا وكلهم قطع انه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى انه كان اعجب ما يؤمله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا تتسع جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب موضون وعمد كانما افرغت في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدي الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان الذي اقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها واختراعها من اجزاء الارض المنحلة كيما يري الغافلين عنه من عباده مثالا لما اعد لاهل السعادة في دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرم لا اله الا هو المتفرد بالكرم وذكر المؤرخ ابو مروان بن حيان صاحب الشرطة ان مباني قصر الزهراء اشتملت على اربعة الاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف وهو ثمان عشرة على ثلثمائة سارية وذكر ايضا ان منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية وان مصاريع ابوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر الف باب وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المذهب المموه والله اعلم فانها كانت من اهول ما بناه الانس واجله خطرا واعظمه شانا انتهى قلت فسر بعضهم ذلك النيف في كلامه بثلاث عشرة والله اعلم وقال بعض مؤرخي الاندلس كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم في كل يوم حاشا انواع الطير والحوت ثلاثة عشر الف رطل وعدد النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة الاف وثلثمائة امراة واربع عشرة انتهى وقيل ان عدد الفتيان الصقالبة ثلاثة الاف وسبعمائة وخمسون وجعل بعضهم مكان الخمسين سبعة وثمانين وقال اخر ستة الاف صقلبي وسبعة وثمانون والمرتب من الخبز لحيتان بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة كل يوم وينقع لها من الحمص الاسود ستة اقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لحم اللحم ثلاثة عشر الف رطل تقسم من عشرة ارطال للشخص الى ما دون ذلك سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى وقال ابن حيان الفيت بخط ابن حزمون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدا عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان الزهراء اول سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة الاف صخرة سوى الصخر المصرف في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد وكان يخدم في الزهراء كل يوم الف واربعمائة بغل وقيل اكثر منها اربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن الكريا دواب لاكريا الراتبة للخدمة الف بغل

King Saud University
Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)